حـــوار

فى قضايا لغوية

١ – هذه اللغة المشتركة ومعالم تطورها

٢ – مستقبل اللغة العربية المشتركة

٣ – لغة الأدب الشعبي بين العامية والفصحى

(١)

هذه اللغة المشتركة ومعالم تطورها الحديث

مع كتاب للأستاذ محمد خلف الله

لم يكن عجباً ونحن نجتاز هذه الظروف القاسية العصيبة ، أن نلوذ بما عُرف لنا من ماض طويل مشترك، كنا نلتقى فيه فكراً وروحاً ووجداناً، عبر الحواجز والأسوار ، ونتجاوب بكل قلوبنا ومشاعرنا برغم كل الحدود والسدود ..

وذكرتُ فيما ذكرت ، هذه اللغة المشتركة لسان عربيتنا ومناط وحدتنا الفكرية والذوقية ، فتراءت لى من وراء الحقب والأدهار ، أطياف أجداد لنا أنفقوا أعمارهم فى خدمة هذه اللغة ، وبذلوا حياتهم لحمايتها فى مهب الأعاصير ، ومنحوها نور عيونهم لكى يضيئوا لها مسراها فى ليلنا الطويل ..

من هؤلاء الجنود الفدائيين : الشامى والعراقى ، والحجازى والنجدى واليمنى ، والمصرى والمغربى والأندلسى . . شهدتهم العصور والأجيال عاكفين على رسالتهم النبيلة ، فى صوفيَّة علمية متجردة صنعت لنا تاريخنا الفكرى المشرك، وحمَتْ تراثنا الذى يعطى وجودنا المعنوى عنصر أصالته وسر بقائه ..

* * *

وفى مكتبتنا الحديثة ، كتاب قيم عن (معالم التطور الحديث فى اللغة العربية وآدابها) ألفه « الأستاذ محمد خلف الله : عميد معهد البحوث والدراسات العربية» ونشرته الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، حلقة فى سلسلة دراسات عن حركة التجديد والإحياء فى الحياة العربية فى العصر الحديث .

وقد حدد الأستاذ العميد نطاق بحثه فجعله خاصًّا بمصر وحدها فى القرن التاسع عشر ، وهذا القرن — أو بتحديد أدق : الربع الأخير منه — قد شهد نقطة انطلاق حاسمة فى تاريخنا القومى والفكرى بوجه عام : فيه لاح

شعاع اليقظة يومض فى الظلمة . ومنه بدأ الركب العربى يتحرك فى أعقاب ليل طال . وبه تميزت معالم الطريق لهذه النهضة الحديثة التى يظن بعضنا — خطأ — أنها طارئة مفاجئة .

ولقد كنا فى حاجة حقًّا ، إلى عالم محقق مثل الأستاذ خلف الله ، يحلو تلك الفترة التى شهدت بوادر اليقظة ، وينصف أولئك الرواد الذين حملوا الشعلة فى الظلام ، وأذنوا فى أفقنا بدعاء الفجر الجديد والناس نيام ، وخلفوا لنا تراثهم اللغوى والأدبى ، يضىء معالم الطريق أمام الذين تلقوا اللواء من جيل الرواد .

وفى قراءتى للكتاب ، لم يفارقنى الشعور بما احتمل الأستاذ الجليل من مشقة وهو يحاول أن يركز دراسته لتلك الفترة الحافلة فى خلاصة موجزة ، فاستعان عليها بالهوامش التى حمّلها أقصى ما تطيق من حواش وتعليقات وإضافات . ومن نصوص لم يتسع لها المجال فى العرض العام . ولم يستطع مع هذا أن يقدم كل ما عنده : ميّز الخطوط الكبرى لحركة البعث ، وركز اهتمامه على أعلام من رادوها : « رفاعة الطهطاوى » فى الترجمة والاتصال بالثقافة الغربية ، و« محمد عبده » فى الإنشاء والكتابة ، و« البارودى » فى إحياء الشعر ، و « المرصفى ، وحمزة فتح الله ، وحفنى ناصف » فى دراسات اللغة وآدابها .

* * *

وكنت أتوقع ، بعد أن فرغ الأستاذ العميد من بيان بوادر البعث اللغوى والأدبى بمصر ، أن يتابع فى الجزء الثانى من كتابه القيم ، رصدَ مطالع التطور الحديث للغة العربية بوجه عام . لكنه صرح فى الفقرة الأخيرة من هذا الجزء الأول بأنه وصل فى سيره إلى أوائل القرن العشرين حيث تأخذ الاتجاهات التى سجلها فى سابقه تنضج وتثمر ، وحيث تنمو ميادين جديدة فى الأدب واللغة سيحاول أن يتتبعها فى القسم الثانى من الكتاب .

والكتاب بهذا الوضع ، يثير قضية هامة : ذلك لأنه إذا كان قد التزم

فى جزئه الأول حدود المجال المخصص للبحث ، فقصر اهتمامه على مصر ، إلا أن الموضوع العام للكتاب فى عنوانه ، هو : معالم التطور الحديث فى اللغة العربية وآدابها .

وأستاذنا يعلم بلا ريب ، أن التطور اللغوى والأدبى ، لم تنفرد به مصر وحدها ، وإنما شاركتها فيه أقطار أخرى للعربية فى المشرق والمغرب ، حملت نصيباً من هذا التطور ، قلّ أو كثر .

وما يغيب عنه جهد الرواد ممن شاركوا فى حمل شعلة اليقظة ، فى شتى أقطار الوطن العربى ، من أمثال الألوسى والصافى النجفى والرصافى والزهاوى فى العراق ، والشدياق واليازجى والبستانى وأمين الريحانى وجرجى زيدان فى لبنان ، والشيخ طاهر الجزائرى والقاسمى وكرد على فى سوريا ، والخالدى والسكاكينى والنشاشيبى فى فلسطين والأردن ، وعبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمى والشاعر محمد العيد آل خليفة فى الجزائر ، وحسن حسنى عبد الوهاب والشيخ بن عاشور فى تونس ، وعلماء مراكش وفاس فى المغرب الأقصى . . .

وأعلم أن عدداً من أبناء هذه الأقطار توافروا على دراسة فجر النهضة الأدبية الحديثة فى بلادهم . كما فعل الدكتور جميل سعيد فى محاضراته عن العراق . والدكتور ناصر الدين الأسد عن الأردن وفلسطين ، والأستاذ شفيق جبرى والأستاذ سامى الكيالى عن سوريا . والدكتور سهيل إدريس عن لبنان ، والأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب عن تونس . والدكتور صالح خرفى عن الجزائر ، والأستاذ عبد الهادى التازى عن القرويين فى فاس ، والأستاذ عبد الله كنون عن الأدب المغربى . .

لكن الاكتفاء بدراسة التطور الحديث للغة العربية ، فى كل قطر على حدة ، يوشك أن يخيل إلى القارئ أن لغتنا كانت تمارس تطورها فى كل قطر ، بمعزل عن الأقطار الأخرى . .

مع أن كل قضية لنا لغوية ، إنما هى قضية عامة ، يشترك فيها أصحاب

العربية على اختلاف أقطارهم ، ولا يمكن أن نستوضح رؤية تطورها الحديث مالم نجمع هذه التيارات الإقليمية فى مصب واحد ، تلتقى عنده شتى الروافد ، من قلب المشرق الآسيوى إلى أقصى المغرب الأفريقى ، لتبدو الصورة لنا آخر الأمر متكاملة .

ولا يعنى هذا بحال ما ، ألا تُدرس حياةُ اللغة العربية فى كل قطر من أقطارها ، فذلك هو ما يحتمه المنهج العلمى . لكنه يعنى ألا تقوم هذه الدراسة المتخصصة فى عزلة عن التيار العام لسير الحياة بلغتنا المشتركة ، إذ أن طبيعة العربية من حيث هى لغة الوطن العربى كله ، تستلزم أن يدخل فى تقدير الدارس ، هذا التفاعل المحتوم بين مناطقها ، وتلك المشاركة التى لا بد منها ، لأصحاب العربية فى مختلف أقطارها .

وإذا كان الأستاذ العميد بدقته المنهجية قد آثر تخصيص هذا الجزء لمصر ، وترك لسواه من أبناء الأقطار الأخرى أن يرصدوا مطالع النهضة اللغوية فى بلادهم ، فقد بقى أن يتناول دارسٌ منا هذا الموضوع من أفقه العام ، ليضىء لنا معالم التطور الحديث لهذه اللغة المشتركة التى تعاقب علماؤنا على خدمتها جيلا بعد جيل .

وما أحسبنى أشق على أستاذنا إذا رجوت أن يكون هذا هو موضوع الجزء الثانى من كتابه ، فى ضوء ما اجتمع لنا من دراسات متخصصة للعربية فى مختلف أقطارها ، قبل أن يغذ السير إلى القرن العشرين ، ويتابع دراسته لمعالم التطور الحديث فى اللغة العربية وآدابها .

(٢)

مستقبل اللغة العربية المشتركة

مع كتاب الأستاذ الدكتور « إبراهيم أنيس »

قضية الوحدة اللغوية ، هى مدار البحث الجاد الذى عالجه الأستاذ الدكتور فى هذا الكتاب[١] .

وهذه الوحدة اللغوية أمل كبير تعترضه صعوبات جمة ، يذكر سيادته منها : « صعوبات من ناحية الاختلافات فى الأداء والنطق ، ومن حيث المصطلحات والدلالات . ومن حيث الأساليب التى تأثرت باللهجات المحلية أو بلغات أجنبية كالإنجليزية فى مصر والعراق ، والفرنسية فى الشام وبلاد المغرب ، وغير ذلك من مشاكل إذا استطعنا التغلب عليها ، ظفرنا فى آخر الشوط بتلك اللغة العربية المشتركة » ص ٤٢

ويرى الأستاذ الدكتور . أنه « لكى تتحقق تلك الوحدة اللغوية ، يجب على كل الأمم العربية[٢] أن يؤمنوا إيماناً قوياً بفائدة ذلك الاتجاه ونفعه ، بالنسبة لمستقبلهم السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، وأن تجتمع كلمتهم على العمل لنجاح ذلك ولا يمكن أن يتم هذا إلا بأن يسلموا القياد لهيئة موجهة كالجامعة العربية مثلا ، ترسم الخطة وتحدد المعالم . وعلينا جميعاً الخضوع لتعليماتها وما تقترحه علينا — » ص ٥٦ .

وقد ترك الأستاذ الدكتور للزمن مهمة الفصل بين من يرون — لتوحيد اللغة المشتركة — إعادة الفصحى إلى عزها القديم وإحياء تراثها الأصيل ، وتعبئة القوى لنشرها عن طريق التعليم والإذاعة ومختلف وسائل النشر الأخرى حتى تسترد الفصحى سلطانها وتنتصر على اللهجات المحلية ؛

ومن يذهبون إلى اختيار اللهجة المصرية ، فى أسلوبها المهذب الذى يستعمله المثقفون ، لتكون لغة حديثة مشتركة بين الأمم العربية[٣] .

---

(١) طبع معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٦٠ .

(٢ ، ٣) لعل الأولى أن يقال : شعوب أو أبناء الأمة العربية .

وكنت أرجو لو أنه ترك للزمن كذلك ، مهمة حل هذه المشكلة التى عقّدتها ظروف طارئة شاذة لا شك فى أن الزمن لن يسمح ببقائها .

وفى رأيى أن عقدة الموقف ليست فى وجود لهجات محلية تقضى بها حاجات الحياة اليومية ، فلكل لغة حية فى عصرنا لهجاتها المحلية التى تختلف باختلاف الأقاليم . والعربية نفسها ، قد كان فيها ، أيام عزها وأصالتها . لهجات محلية للقبائل ، لم تمنع ما يشبه الوحدة اللغوية فى المجال الأدبى ، ولم تحل عند نزول القرآن الكريم ، دون فهمهم لغته العليا ، على اختلاف لهجاتهم .

وليست عقدة الموقف كذلك ، أن بين الشعوب العربية فروقاً صوتية فى الأداء ، كالاختلاف فى نطق الأصوات الساكنة مثل الكاف والقاف والجيم والدال والثاء والطاء ، جهراً وهمساً وتفخيماً وتخفيفاً ، أو بعض أصوات اللين مدّاً وقصراً ، أو اختلافنا فى وضع النَّبْر ضعطاً وإمالة ...(ص ٤٢ : ٤٥)

فقد وُجد مثل هذا الاختلاف بين العرب الفصحاء الأصلاء قبل أن يخرجوا من جزيرتهم ، وبقيت آثاره واضحة فى « القراءات السبع » يؤدّى فيها اللفظ الواحد بطرق عدة يحتملها رسمه . ولم يؤد هذا الاختلاف إلى نفور العربى من أخيه العربى ، ولا عُدّ مشكلة خطيرة تحتاج إلى العلاج والحسم ؛ إذ الأمر فيها طبيعى . وليس فى الإمكان أن نكلف الأشياء ضد طبيعتها فنفرض على ملايين العرب آن يؤدوا اللفظ الواحد بصورة صوتية واحدة ، لا تطوع بها ألسنتهم .

وليست العقدة كذلك فى اختلاف بعض أساليب التعبير بين الأقطار العربية تبعاً لظروف بيئتها وتأثرها بأساليب أجنبية شتى (ص ٤٦) فمثل هذا يحدث فى أبناء الإقليم الواحد . حيث تختلف أساليب التجاريين عن الزراعيين ، ورجال الصناعة عن رجال القانون أو الأدب أو الطب . وسكان الجبال والبوادى عن سكان السواحل . . ثم لا يكون هذا الاختلاف الطبيعى فى صور التعبير وأساليب الأداء ، ظاهرة تمزق فى الوحدة القومية لأبناء الوطن الواحد والقطر الواحد .

وليست العقدة كذلك . فى استحداث دلالات جديدة للألفاظ لم تنص عليها المعاجم القديمة . فالعربية فى عصور أصالتها ونقائها . كانت تتابع استحداث دلالات متجددة للألفاظ ، ويعينها على هذا التجدد مرونة طبيعية يكفى أن يُستشهد لها بسعة الاستعمال المجازى الذى يستحدث دلالة جديدة للفظ اعتماداً على أدنى صلة بالدلالة الأولى . ونحن اليوم نقول رحل فلان بالقطار أو الباخرة . مع أن الدلالة الأصلية للرحلة . شدُّ الرحال على المطايا للسفر . ونقول ببساطة : أقلعت الطائرة ، مع أن الإقلاع فى الأصل اللغوى للسفينة ذات القلوع . فهل تكون مشكلة ، استحداث دلالة جديدة للمظاهرة مثلا . فى إعلان الرأى أو إظهار العاطفة فى صورة جماعية (ص ٤٧) ولدينا آية « التحريم » فى أنقى وأعلى نص عربى . قد استعملت التظاهر فيما يشبه هذه الدلالة المستحدثة ؟ :

« إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ، وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريلُ وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير » .

وهل نبعد كثيراً عن الدلالة المعجمية للفشل « بمعنى الكسل والضعف والتراخى ، حين نستعمله بمعنى الخيبة — ص٤٧ » التى هى نتيجة الكسل والضعف؟

وهل نعتسف فى التجوز ، حين نطلق لفظ « الشقى على اللص وقاطع طريق . وهو فى المعجم ضد السعيد — ص ٤٧ » .

ومتى كان اللص سعيداً ؟ ثم . ألسنا نستعمل اليوم الشقى بدلالته المعجمية فى مثل قولنا : ما أشقاه . . ويا للشقاء ؟

كلا . . ليست عقدة الموقف — فيما أرى — فى شىء من هذا ومثله ، وإنما هى فى إصرار بعض حماة اللغة عندنا على عزل الفصحى عن الحياة ، وولعهم باستعمال ألفاظ عربية أماتتها الحياة ونصّت المعاجم القديمة نفسها على أنها مُماتة . وفى إصرارهم على تعطيل المجاز وتجميد الأساليب والدلالات

فى لغة حية ، أخصُّ صفاتها المرونةَ والتجدد والتوسع فى استحداث دلالات مجازية لأدنى ملحظٍ فى الدلالة الأصلية .

وهذا ، عندى ، هو سر المأساة التى تفرض العقم والجمود على لغة حية وتأبى عليها أن تنمو وتساير الزمن .

ولكنى مؤمنة بأن حيوية اللغة ، ستأبى هذا العقم والجمود ، واثقة أن حتمية التطور والتجدد ستتولى حتما ، مهمة تحطيم الأغلال التى يحاول بعضنا — بحسن نية — أن يشدوا بها لغةً كالعربية ، زاخرة الحيوية وافرة المرونة .

وإذ ذاك لن توجد مشكلة ، لأن القضية كلها ستصبح غير ذات موضوع .

ولن نحتاج إلى هيئة ، كالجامعة العربية أو المجمع اللغوى ، نسلم إليها القياد لتوحّد الحناجر وتقضى على اللهجات المحلية ، وتفرض علينا — نحن ملايين العرب — أن نؤدى اللفظ بصورة واحدة ، وأن نعبر بأسلوب موحد !

فوجود اللهجات المحلية أمر طبيعى مقرر ، ليس لأحد عليه سلطان . وهذه اللهجات لا تمنع من الوحدة اللغوية فى مجال الثقافة والفكر والأدب . وأنت الآن تسمع الألمانية فى النمسا بلهجة غير التى تسمعها بها فى ألمانيا أو سويسرا ، ويمكنك بسهولة أن تفرق بين لهجة أبناء إنجلترا وبين لهجة الأمريكان ، وأن تميز أسلوب البحارة فى البندقية ونابلى وجنوا ، على الساحل الإيطالى ، عن أسلوب الجبليين على قمم الألب الإيطالية ، كما تستطيع أن تميز هنا بين لهجة سكان السواحل والثغور المعرضة للمخالطة اللغوية ، وبين لهجة سكان الريف أو البوادى المنعزلة .

وكل اللغات ، فى كل العصور ، عرفت وتعرف وستظل تعرف أبداً ، فروقاً واضحة بين لغة الحياة اليومية ، ولغة الفكر والأدب . والعربية لا تشذ عن هذا ، وقد عرفته فى قديمها الأصيل حيث كانت هناك لغة عالية — والتعبير بنصه من رسالة الغفران لأبى العلاء — ولغة معتادة لعامة الناس .

فكيف نتصور إمكان صنع لغة موحدة الأساليب ودلالات الألفاظ وطرق الأداء الصوتى ؟

وأى سلطان يمكن أن يتحكم فى حناجرنا وألسنتنا ، ويوحد لنا مستوانا فى التفكير وصور التعبير ؟

* * *

إنى لأرجو أن يكون بحث الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس فى (مستقبل اللغة العربية المشتركة) بما تناول من عرض دقيق رصين لهذه القضية ، بدءَ اتجاه سليم فى النظر إليها والتفكير فيها ، ولعلنا به نُعفَى من جدال عقيم حول مشكلة أثارها جمودٌ يأخذ — ظلماً — صورة المحافظة على قديمنا العريق وتراثنا الغالى . فبلجم العربية بأغلال تعطل نموها وازدهارها ، ويضيع الجهد عبثاً فى مقاومة حيويتها وقهر مرونتها ، وفى محاولة إيقاف سير الحياة بها وتعطيل سنة النمو والتطور . . .

(٣)

لغة الأدب الشعبى

بين العامية والفصحى

لبثت زماناً ، أرى أن الإلحاح فى الحديث عن العامية والفصحى ، قد يسيء إلى العربية من حيث يراد به النفع ، لما فى هذا الإلحاح من ترسيخ للعقدة التى نشكوها من ثنائية اللغة ، وتضخيم لمشكلة تعدد اللهجات المحلية فى الوطن العربى الكبير .

وكنت ولا أزال أومن بأن الزمن سيتكفل بحل هذه المشكلة من حيث ندرى ولا ندرى ، ولو لم يكن لنا من الزمن إلا أن يصل بمعركتنا ضد الأمية إلى غايتها المرجوة ، وإلا أن تتماحى الحدود الزائفة والأسوار المصطنعة بين الأقطار العربية ، لكان لنا من ذلك حلٌ للمشكلة يغنينا عن محاولة حسمها قبل الأوان ، بحلول معتسفة تأباها طبيعة اللغة والحياة . .

بل لم أكن فى الحقيقة أريد أن أعترف بوجود صراع حقيقى بين العربية الأم ولهجاتها المتعددة ، فما كان تعدد اللهجات سوى ظاهرة طبيعية فى حساب الواقع والحياة . ولعله فى العربية ، أقرب إلى أن يكون شاهداً على اتساع مجالها وقوة مرونتها وحيويتها ، بحيث وَسِعَتها أن تغدو لسان العرب من قلب الشرق الآسيوى إلى أقصى المغرب الأفريقى ، على اختلاف مسالكهم الصوتية وبيئاتهم الإقليمية وميراثهم اللغوى .

لكن تجاهل المشكلة لم يعد مستطاعاً أمام ذلك الصراع العنيف الذى احتدم حول العامية والفصحى فى الأعوام الأخيرة . ولست أقصد بحديثى الآن ، إلى أن أعود فأقف عند هذا الخلاف المثار ، وإنما هى محاولة أريد بها أن أعرض القضية من زاوية خاصة ، تكشف عن تناقض عجيب فى موقف الهيئات

الثقافية الرسمية من العامية والفصحى ، وتؤكد حاجتنا الماسة إلى تخطيط ثقافى تسير به جهودنا فى خطوات متناسقة متكاملة .

ولولا هذا التناقض ، لما تعقدت الأزمة وجاوزت فى تعقدها الحدّ الذى كان يجب أن تقف عنده . فليس منا من يمارى فى أن أدب الفصحى هو مناط الوحدة اللغوية للعرب ، بما يعنى فى الأدب من وحدة مزاج مشترك ووجدان عام . .

وكان يمكن ألا نمارى كذلك فى أن الأدب الشعبى ضرورة وجدانية لا غنى عنها ، لأن التحدث إلى عامة الشعب بلهجتها وأسلوبها ، هو مناط التأثير فيها والانفعال بها والتجاوب معها .

ولكن الأمر اضطرب فى غمرة الخلاف وفوضى التناقض ، فاختلطت الأصوات منذرة بالويل والثبور وعظائم الأمور . وتبودلت التهم فقيل إن الترخُّص فى استعمال العامية فى الأدب ، خيانة للوحدة العربية وكفر بلغة القرآن الكريم ، وقيل كذلك إن الإصرار على استعمال الفصحى وحدها فى الأدب ، عزلة وجدانية عن الشعب ، وتعطيل للتأثير فيه والتجاوب معه والاتصال به .

ومضى الحائرون يلتمسون عند كبار الأدباء مخرجاً . فإذا الموقف يزداد اضطراباً وتناقضاً :

أستاذنا « الدكتور طه حسين » ، الذى علمناه من أشد أنصار أدب الفصحى ، قد أذن فى أن يصاغ حوار (الأيام) فى التليفزيون باللغة العامية .

و « الأستاذ محمود تيمور » الذى عرفناه قديماً يؤثر العامية فى قصصه الشعبية ، ثم رأيناه فى الجديد من أعماله الأدبية يدير الحوار على ألسنة العامة بلغة مجمعية معجمية . نقلت عنه إحدى الصحف : « أنه سيكتب مسرحية جديدة مرتين : مرة للناس بالعامية ، ومرة أخرى بالفصحى » .

ونسأل عن موقف الهيئات الرسمية ، فليقانا من تناقضها العجب والعجاب :

فالدولة من ناحية ، قد اعترفت بالأدب الشعبى فى هذه المرحلة الجديدة من تاريخنا . وبلغ من عنايتها به ، أن استحدثت كرسيا للأدب الشعبى فى جامعة القاهرة ، اعترافاً منها بهذا الأدب وتقديراً لخطره .

وبين لجان المجلس الأعلى للفنون والآداب ، لجنة خاصة للفنون الشعبية ترعاها وتشجعها .

وفى وزارة الثقافة ، إدارة خاصة بالفنون الشعبية ، ومنها الأدب الشعبى . يرأسها وكيل للوزارة متخصص فى هذا الأدب . وقد رصدت الوزارة مبالغ ضخمة فى ميزانيتها لتشجيع المسرح الشعبى وحماية التراث الفنى للشعب . وأعلنت عن مشروع ضخم لإخراج " أوبريت شعبية ، اسمها : مهر العروسة " عهدت الوزارة إلى الشاعر عبد الرحمن الخميسى فى تأليفها . وإلى الأستاذ محمد عبد الوهاب فى تلحينها . وهى مكتوبة بالعامية المصرية . كما عهدت إلى الشاعر الشعبى « صلاح جاهين » فى صياغة أغان شعبية لقصة القاهرة ، فى عيدها الألفى . . . .

* * *

ولكننا — من ناحية أخرى — نرى لجنة النثر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، تحجب جائزة الدولة التشجيعية للقصة . عن بعض القصص الممتازة لعاميةٍ فى حوارها . .

بل سمعنا كذلك أن لجنة الفنون الشعبية فى المجلس ، رفضت ملحمة شعبية صاغها الشاعر الشعبى « حامد الأطمس » بالزجل العامى .

وما يدرينا ، لعل اللجنة الموقرة ترى — صوناً لهيبتها — أن تهذب تراثنا الشعبى من المواويل والأغانى والأزجال والأمثال ، فتعيد كتابته بالفصحى على نحو ما يفعل أديبنا المجمعى « الأستاذ محمود تيمور » !

فهل من سبيل إلى علاج هذا التناقض الذى يبدد القوى ويبعثر الجهود وتتعثر فيه خطواتنا بين شد وجذب ؟

إحدى اثنتين :

إن كانت العامية مرضاً ورجساً . فإن أى ترخّص فى استعمالها جريمة فى حق الوطن ، وأى اعتراف بأدبها الشعبى أو عناية بتراثنا منه ، خيانة وثغرة فى بناء النهضة . ولنا أن نتصور عندئذ فداحة الإثم وشناعة المفارقة ، إذا سمعنا شيوخ الإسلام وزعماء الوطنية ، يتكلمون فى حياتهم اليومية بهذه العامية الملعونة !

أما إذا كانت الدولة قد اعترفت بالعامية فى أدبنا الشعبى الذى تشجعه وترعاه وتستنقذ تراثه من الضياع ، وهى تقدر أن هذه العامية أداة التأثير الوجدانى فى الشعب ، ووسيلة اتصال به ونفوذ إليه . وطريق الفهم لمزاجه . فقد وجب أن توضح الهيئات الثقافية المسئولة موقفها من الأدب الشعبى حتى لا يظن ظان أن عامية الحوار وصمة عار فى القصة ، وأن الملحمة الشعبية إذا صيغت زجلا ، لم تعد أهلا لرعاية « لجنة الفنون الشعبية ، فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب » !

وإلى أن ينجلى المرتقب ستظل حياتنا مجهدة بهذا الصراع الذى كان بعضنا منه تخطيط ينظم جهودنا انتظاماً ويسير بها فى خطوات متناسقة متكاملة تساير وعينا وطموحنا . .